



جامعة المنصورة  
كلية التربية



## الطبيعة في شعر ابن طباطبا العلوي ”دراسة موضوعية“

إعداد

مصطفى محمود عيسى أحمد

إشراف

أ.د/ عبد الرحمن محمد الوصيفي (رحمه الله)

أستاذ الأدب العربي القديم

كلية التربية- جامعة المنصورة

أ.د/ رزق المتولى رزق أحمد

أستاذ الأدب والنقد

كلية التربية- جامعة المنصورة

أ.د/ عبد الله على أبو شبانة

أستاذ العلوم اللغوية

كلية التربية- جامعة المنصورة

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة

العدد ١٢٤ – أكتوبر ٢٠٢٣

## الطبيعة في شعر ابن طباطبا العلوي "دراسة موضوعية"

مصطفى محمود عيسى أحمد

### المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، وبعد...  
فهذا بحث بعنوان: (الطبيعة في شعر ابن طباطبا العلوي)؛ دراسة موضوعية تعني بتتبع شعر الطبيعة في ديوان ابن طباطبا العلوي، والتعرف على موضوعاته الشعرية في وصف الطبيعة؛ مثل الطبيعة العلوية المتمثلة في الليل، والنجوم، والسحاب، وغيرها من مظاهر الطبيعة العلوية، وأيضاً الطبيعة الأرضية، مثل: النباتات، والزهور، ثم إلقاء الضوء على وصف الحيوان، من الخيل، الفهد، والفيل؛ بوصفه رافداً مهماً من روافد شعر الطبيعة عند ابن طباطبا العلوي، كما تعنى الدراسة بالتعرف على أنماط شعره في وصف الطبيعة العلوية، حيث أن شعر الطبيعة العلوية من أهم موضوعات شعر الطبيعة عند ابن طباطبا العلوي، كما يمتاز شعر الطبيعة العلوية بوصف الليل فيه؛ حيث أبدع في وصفه، وتعددت رؤيته لوصف الليل في شعره؛ مما جعلها جديرة بالتأمل والدراسة في شعر الطبيعة عند ابن طباطبا العلوي.  
أسباب اختيار الموضوع:

تعدُّ محاولة الكشف عن صورة الطبيعة في شعر ابن طباطبا العلوي السبب الرئيس وراء اختيار موضوعاً للدراسة، لدوافع عديدة، منها:

- 1- عدم وجود دراسة سابقة تناولت شعر الطبيعة عند ابن طباطبا العلوي.
- 2- إبراز شخصية ابن طباطبا الشعرية كما برزت شخصيته النقدية.
- 3- تتبع صورته الشعرية التي تميز بها في وصف الطبيعة العلوية.

### أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث في:

- 1- تتبع شعر الطبيعة العلوية عند ابن طباطبا العلوي، وبيان اختلافه عن غيره.
- 2- ذكر أوصاف الطبيعة الأرضية عند ابن طباطبا العلوي، وتصويره لها.
- 3- التعرف على أنماط شعر الطبيعة في شعر ابن طباطبا العلوي.

## أهداف البحث:

### يهدف هذا البحث إلى:

- ١- إلقاء الضوء على الملامح الجمالية في شعر الطبيعة.
- ٢- إلقاء الضوء على محاور شعر الطبيعة عند ابن طباطبا.
- ٣- الكشف عن أهم السمات التي تميزت بها أوصاف الطبيعة في شعر ابن طباطبا.
- ٤- بيان أثر الحضارة العباسية في شعر الطبيعة عند ابن طباطبا العلوي.
- ٥- إبراز أهم ظواهر الطبيعة العلوية في شعر ابن طباطبا العلوي.

### منهج البحث:

أما المنهج الذي اتبعه الباحث فهو المنهج الوصفي، القائم على التحليل، حيث حصر الأشعار التي تحدثت عن وصف الطبيعة، وتحليلها، وبيان أهم السمات التي تميزت بها.

### مادة البحث:

تتمثل مادة البحث فيما صدر عن شعر ابن طباطبا العلوي في ديوانه، وقد اعتمدت في جمع المادة على الديوان الذي جمعه وحققه وقدم له د. شريف علاونة، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م؛ حيث جمع أبياته في قصائد، ومقطوعات، وأبيات مفردة، وتميزت بأنها دراسة مستقلة.

### الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات سابقة مستقلة عن ديوان ابن طباطبا العلوي، حيث إنني لم أعر - في حدود علمي - على دراسة لديوان شعر ابن طباطبا تناولت المضامين الموضوعية، في ديوانه الشعري، أو الطبيعة في شعر ابن طباطبا العلوي، ومن ثم لم يحظ شعره بدراسة مستقلة تكشف عن مضامينه الموضوعية.

### هيكل البحث ومحتواه:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقسم ثلاثة مباحث، تسبقها مقدمة، وتمهيد، وتتلوها خاتمة البحث التي تحمل ما توصل إليه البحث من نتائج، ثم تأتي مباحث الدراسة على النحو التالي:

- \* المبحث الأول: الطبيعة العلوية.
- \* المبحث الثاني: وصف النباتات والزهور.
- \* المبحث الثالث: الطبيعة الحية (الحيوان).
- \* خاتمة البحث: تحمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

## التمهيد:

### أولاً: ابن طباطبا العلوي موجز حياة:

هو " أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن، يرجع نسبه الشريف إلى الحسن بن علي بن أبي طالب\_ رضي الله عنهما\_، والمشهور بـ(ابن طباطبا العلوي)، ويكنى بأبي الحسن، ولد في مدينة أصبهان، وهو من نقاد العصر العباسي وشعرائه، وقد عُرف واشتهر بمؤلفاته النقدية، وبكتابه "عيار الشعر" (١) ، وكان ابن طباطبا "مشهوراً بالذكاء والفتنة، وصفاء القريحة، وصحة الذهن، وجودة المقاصد" (٢). وكان محباً للعلم ساعياً في طلبه" (٣)، ومن مؤلفاته التي أحصاها ابن النديم أربعة كتب هي: "عيار الشعر، وسنام المعالي، والشعر والشعراء، وديوان الشعر" (٤)، كما ذكر ياقوت الحموي أسماء كتب أخرى، وهي: "تهذيب الطبع، العروض، تقييد الدفاتر، المدخل إلى معرفة المعنى من الشعر" (٥)، وأما تاريخ وفاته، فذكر ياقوت الحموي أن وفاته سنة ٣٢٢هـ، أي إنه عاش في الشطر الثاني من القرن الثالث، وجزء من القرن الرابع للهجرة.

### ثانياً: شعر الطبيعة في الأدب العربي حتى عصر ابن طباطبا العلوي:

شعر الطبيعة؛ هو الشعر الذي يمثل الطبيعة ويصفها، ويظهر جمالها في ثوب يتصوره الشاعر ويترجم صورته بأبياته، ومن مراحل شعر الطبيعة، والأدب العربي يزخر بشعر الطبيعة، والعربي بطبيعة الحال " ميال إلى أن يصف ما يشاهده في البيئة من معالم الحياة حوله، وكان ينقل ما يراه نقلًا آلياً في معظم الأحيان إلى أشعاره، ويرسمها بأشكالها، وينقلها بأحجامها ويحاول أن يعطى لها نفس الأبعاد، وذات الألوان والظلال التي خلقت عليها أصلًا في الحياة" (٦).  
"وتختلف الطبيعة في الشعر تبعاً لرؤية الشاعر، وبيئته التي يعيش فيها، نتيجة لافتتان الشاعر بها وبمناظرها الخلاب، وقام الشاعر بوصف الطبيعة بأبدع الألفاظ، والتراكيب،

(١) ينظر: عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، ص٩٠، ٩١.

(٢) معجم الأدباء، ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق د.إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ١٧/١٤٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٧/١٥١.

(٤) الفهرست: محمد بن اسحق بن النديم (ت/٣٨٠هـ)، حققه: رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م، ص١٥١.

(٥) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٧/١٤١.

(٦) زهير بن أبي سلمى: د/ علي إبراهيم أبو زيد، مؤسسة عز الدين، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص٦٣.

والتعبيرات الجمالية، وسعى لمعرفة الكون واكتشاف نواميسه، أي أنه لم يكتفي بظاهر الأشياء، بل يقابل بينهما ويستنتج منه".(١)

#### الطبيعة في الشعر الجاهلي:

" لقد كان هناك ارتباطاً وثيقاً بين الشعراء والطبيعة منذ العصر الجاهلي، وكان شعر الطبيعة أصيل عند شعراء العصر الجاهلي، وهذا نتاج طبيعي لتلك البيئة الصحراوية التي كانوا يعيشون بها، فاتخذ الشاعر الجاهلي من البيئة مصدر الإلهام، وفُتِنَ بجمالها، وأخذ يُعبر عن حبه لها في أصدق التعبيرات، وقد فسر ذلك أحد خطباء العرب لكسرى حين سأله عن مساكنهم في البادية وتعلقهم بها، فقال: أيها الملك ملكوا الأرض ولم تملكهم، وآمنوا من التحصين بالأسوار، فمن ملك قطعة من الأرض فكسائها كلها له، يردون منها خيارها، ويقصدون أظافها"(٢)

وكان الشعراء في العصر الجاهلي يصرون وصف الطبيعة في أشعارهم، ذلك أن الطبيعة "كانت دائماً ملهماً بالغ التأثير في نفسية الشاعر العربي، وقد كان الجاهليون يصرون عنها في أشعارهم، ولم يتركوا كبيرة ولا صغيرة في صمتها ولا في حركتها دون أن يرسموها في أشعارهم، فصوروا صحاريها بكتبانها ورمالها وغدرانها وأمطارها وسيولها ونباتها وحيوانها وطيرها وزواحفها وهواجرها، وما قد ينزل في بعض مرتفعاتها وأطرافها من البرد وقوارصه".(٣)

#### الطبيعة في العصر الأموي:

لم يختلف شعر الطبيعة كثيراً في العصر الأموي، فلقد "مضى الشاعر الأموي على سنة أسلافه يستلهم الصحراء، مزاجاً بين حب الطبيعة وحب المرأة، إذ افتتح مطولاته بوصف أطلال الديار التي قضى بها شبابه مع بعض صواحبه، واسترسل في الحديث عن ذكريات حبه، ثم تحدث عن رحلته في الصحراء على ناقته فأسهب في وصفها لما لها من جمال في نفسه، وأسهب في وصف الفرس إن كان فارساً".(٤)

وعلى الرغم من ذلك نجد بعض الأوصاف الجديدة؛ نتيجة للبيئة الجديدة التي اختلفت عن بيئة العصر الجاهلي، لذلك نجد "أن معظم الشعراء في هذا العصر قد عاشوا في بيئات متحضرة،

(١) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي: إيليا الحاوي، دار الكتاب المصري، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م، ص ٨.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، ج ١، ص ٦٢.

(٣) الأدب الأموي: أحمد إبراهيم المسودي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وأدبها، ص ٣٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٤.

فقد ظلت الصحراء ملهمهم الأول، على نحو ما نجد عند فطاحلهم كالفرزدق والأخطل وجريير الذين آثروا البيئة الصحراوية البدوية على طبيعة البيئات الجديدة. لقد كانت الطبيعة الصحراوية تستولي على ملكاتهم، ومن بعدها أفسحوا للبيئات الجديدة في أشعارهم، فكانوا يتأملون طبيعة الأقاليم الجديدة ويصفون ما بها من جبال وتلوج وأنهار، وما نبت على ضفافها من زرع وزيتون وأعشاب؛ بمعنى أنهم لم يغمضوا أعينهم عن مناظر البيئات الجديدة، فقد كانوا يسجلونها بين الحين والحين" (١) .

### الطبيعة في العصر العباسي:

أصبحت الطبيعة منذ العصر العباسي الأول موضوعاً شعرياً جديداً، تتنافس فيه قرائح الشعراء، وتتبارى فيه مشاعرهم، ومن ذلك يقول د. شوقي ضيف أن الشاعر العباسي كان يحتفظ أحياناً في مقدمات مدائحه بوصف الصحراء، وأحياناً يتركها إلى وصف الطبيعة في الحاضرة ببساتينها ورياحينها، وقد أخذ يخص هذه الطبيعة بمقطوعات وقصائد كثيرة، بحيث أصبحت موضوعاً جديداً واسعاً" (٢).

لقد تعددت وتنوعت صور الطبيعة في الشعر العباسي، حتى أصبح الشاعر يصف كل ما تقع عليه عيناه، وكذلك الطبيعة الخلابة أسهمت وأثرت الطبيعة في الشعر العباسي، وفي ذلك يقول د. أنور أبو سويلم " كانت الطبيعة الفاتنة وما ينبثق من باطنها من أعشاب، وأزهار، وأشجار، وما يتحرك على سطحها من حيوانات وحشية، وأليفة، وما يحلق في سمائها من طيور جارحة، وغير جارحة، وما ينساب في مسالكها من زواحف، وحشرات؛ مجال اعتبار عند شعراء العصر العباسي الأول، ورأى الشعراء في مظاهرها المختلفة من جبال، وكتبان، وسراب، وليل، ونجوم، ورياح، وسحاب، ومطر، وأنهار، وبحار دلائل أكيدة على قدرة الخالق الجبارة" (٣).

### المبحث الأول: ظواهر الطبيعة العلوية

الظواهر الطبيعية العلوية: هي الطبيعة السماوية، وتشمل السماء وما فيها من شمس، وقمر، ونجوم، وكواكب، وتشمل الجو وما فيه من أمطار، وسحب، ورياح، ونسيم، وتشمل الليل بظلامه، والنهار بضياءه، ولقد حظى الليل في الشعر العربي باهتمام وافر، وتعددت صور الليل في خيال الشعراء، فنارة يصور الشاعر الليل بأنه ملتقى الأحباب والعشاق، وكاتمٌ للأسرار، وتارة

(١) الأدب الأموي: أحمد إبراهيم المسودي، ص ٣٤.

(٢) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٦٦م، ص ١٨٤.

(٣) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول: د. أنور عليان أبو سويلم، الرياض، دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص ٢٦١.

يجعله عنوان الشباب، ورمزاً للقوة والنشاط، وتارة أخرى يصوره بأنه وقت الألم والمعاناة، ونجد أكثر أبيات الطبيعة العلوية عند ابن طباطبا في وصف الليل.

ويمكن رصد ظواهر الطبيعة العلوية عند ابن طباطبا في المحاور الآتية:  
(١) \_ وصف الليل:

إن الليل هو سميع العاشقين، فلا يكفون عن الحديث عنه، فهو مصدر إلهام الشعراء على مدار الشعر العربي، والليل يعدُّ صديقاً للشعراء، وملاًذاً آمناً للتعبير عن خلجات الصدر، ومكنون الروح، فتارة يكون الليل للشاعر طويلاً كأنه الدهر؛ عندما يكون سبباً للبعد عن الحبيب، أو في انتظار مروره لسرور ينتظره مع الشروق، وتارة يكون قصيراً إذا كان في سمرٍ مع المحبوب، وتارة مُغضاً، وتارة محبوباً<sup>(١)</sup>، ووصف الليل من الموضوعات التي ظهرت منذ العصر الجاهلي مروراً بالعصر العباسي، حتى يومنا هذا، فالليل فيه يسكن المرء إلى أفكاره بعد مشقة النهار، وما فيه من شواغل، ولما كان الليل يتميز بالسكون والهدوء، وظلامه بالحُجب والخفاء، فهو يذهبُ بنور أعين الرقباء، نجد ابن طباطبا العلوي، يقول: (المنسرح)

يَا رَبِّ لَيْلٍ خَلَوْتُ فِيهِ بِمَنْ ... يَقْصِرُ عَنْ وَصْفِ كُنْهِ وَجْدِي بِهِ  
لَيْلِ كِبَرْدِ الشَّبَابِ حَالِكُهُ ... نَعِمْتُ فِي ظِلِّهِ وَفِي طَيْبِهِ<sup>(٢)</sup>

يصف ابن طباطبا الليل كما يصفه الشعراء في أيام السرور وليالي الوصل بالقصرِ وسرعة الانقضاء، وبالطول في أوقات الحزن عندما يكون سبباً للبعد عمّن يحبُّ، ومما ذكره ابن طباطبا العلوي في وصف الليل، ولياليه الطيبة عندما جمعه الليل بمن يحب، وعاش ليلةً في نعيم بجواره، فطالما جنَّه الليل وعشقه عن عيون الحاسدين، ويذكر كيف يمر الليل سريعاً، حتى إنه لا يستطيع أن يخبر المحبوب، ويصف له مشاعره وأحاسيسه قبل أن ينقضي الليل، أو تنطفئ نار شوقه، وهذا يدل على شدة تعلق الشاعر بمحبوبه، ولا ينكر أنه مع قصر الليل عاش هذه اللحظات القليلة، وهو مُنعمٌ بوجوده مع محبوبه، ومُنطيبٌ بطيبِ عطره وقربه.

وفي وصف ليل قصير، يقول: (البسيط)

وَلَيْلَةٌ مِثْلُ أَمْرِ السَّاعَةِ اشْتَبَهْتُ ... حَتَّى تَقَصَّتْ وَلَمْ نَشْعُرْ بِهَا قَصْرًا  
مَا يَسْتَطِيعُ بَلِيغٌ وَصْفَ سُرْعَتِهَا ... فَاتَتْ وَلَمْ تَعْتَلِقْ وَهَمَّا وَلَا خَطَرًا<sup>(١)</sup>

(١) - الليل في الشعر الجاهلي: د. محمد زروق الحسن على، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية السودان، المجلد ٢٤، العدد ٩٣، إبريل ٢٠١٣م، ص ٢٤٦.

(٢) الديوان: ص ١٢٣.

فيصف هذه الليلة، ويصف قصرها، وسرعة مرورها، فهي تحاكي مرور ساعة واحدة، حتى إنه لم يشعر بمرورها لقصرها، وسرعة انقضائها، هرولت هذه الليلة مسرعة، مما جعل الوافين والبلغاء يعانون في وصفها لسرعة ذهابها، فهي فكرة لم تتعلق بخاطر، أو تستقر برهةً بذهن ليسهل وصفها، فكأنها لم تخطر على فكر أو عقل، كأنها من سرعتها لم توجد، إذ لو وُجِدَتْ لوصفت.

وقال يصف يوماً غائماً: (مشطور الرجز)

ويوم دَجْنٍ ذِي ضَمِيرٍ مُتَّهَمٍ<sup>(١)</sup>

مثل سرورٍ شابه عارضُهم

أو كسقيم الرأي يقفوه الندم<sup>(٢)</sup>

في هذه الأبيات يصف كيف أن السحاب والغيوم قد ملأت سماء هذا اليوم، فصار وكأنه في منزلة شخص متهم لعدم وضوح نيته، فلا يُعَلَّمُ أتمرُّ الغيم دون أن تغير حال اليوم وروعته، أم ينقلب حال هذا اليوم ويسوء؟، ويشبهه بإنسان في قمة سعادته وفرحه أتاه خير، وفاجأه أمر أصابه بالهم والحزن، فلم يَصِفْ له سروره، أو كآخر لا يستطيع أن يأخذ قراراً أو أمراً حازماً، وكلما أقدم على أمر أو قرار ما يلبث حتى يندم على قراره، بل إن شعوره بأنه سيندم على اتخاذ أي قرار يُعَكِّرُ عليه حياته، ويورق نفسه المضطربة. إن التشبيه هو أداة الشاعر في وصف اليوم الغائم، وتشبيه المحسوس بالمعقول مما وفق فيه الشاعر وأجاد.

وقال في ليلة طويلة: (الخفيف)

أترى النجمَ حاراً في الأفقِ أم أسب ... بل ليلى على نهاري دَيْلاً  
أم كما عاد وصله لي هجراً ... عاد أيضاً به نهاري ليلاً<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان: ص ١٥٣.

(\*) الصحاح: الجوهري، حرف الدال، ص ٣٦١، الدَجْنُ: إلباسُ الغيم السماء، والدُّجْنَةُ من الغيم: الذي ليس فيه مطر. يقال يومٌ دَجْنٌ ويومٌ دجنةٌ بالشديد، والدَجْنُ المطر الكثير. وسحابةٌ داجنةٌ ومُدْجِنَةٌ. وأدْجِنَتِ السماءُ: دام مطرها، والدَجْنُ إلباسُ الغيم السماء عندَ المطر، وربما لم يكن معهُ مطر، وينظر: لسان العرب، مادة "دجن".

(٢) الديوان: ص ٩٩.

(٣) الديوان: ص ٢٨٤.



نجد الشاعر يعاني من طول إحدى الليالي، ويسأل عن نجم الشمس، ويستفسر عن سبب تأخره، لتتقضي هذه الليلة التي يحيها، فيتساءل هل تأخر النهار لأن النجم قد تاه ولم يعد يدرى كيف يعود، أم أنّ الليل أسبغ ذيله على النهار فلم يعد له ظهور، أم أنّه كما صار الهجر بينه وبين من يحب موصولاً ومستمرّاً؟ صار كذلك نهاره ليلاً مستمرّاً، وكأنّ حبيبه هو النور الذي ينير له حياته.

وقال في ليلة مقمرة: (البسيط)

وليلةٌ مثلُ يومِ شمسها قمرُ ... بدتْ بُدو الضحى ظلّاءَ قمرًا  
يا حسنّها ليلةٌ عاد النهارُ بها ... أنسا وطيباً وإشراقاً ولألاء<sup>(١)</sup>

فيصف هذه الليلة المقمرة، والتي بدا فيها القمر ساطعاً سطوعاً دفع الشاعر أن شبهها بنهار هذا اليوم، ثم جعل شمس ذلك اليوم شبيهة بالقمر في سطوع نورها، وهدوئها، ولطافتها، فهو نور أبيض، يستمد حسنه من الليلة التي سبقتة، وتأنر بحسنها وهدوئها، وامتد حتى نهار هذا اليوم، فهو يوم نقي من أدى حر النهار مع ما يمتاز به النهار من إشراق وضياء، فصار أنساً، وطيباً، وإشراقاً، ولألاء.

وفي ليلة شديدة الظلام قال: (المنسرح)

وربّ ليلى باتت عساكره ... تحملُ في الجوِّ سودَ رايات  
لامعةً فوقها أسننتها ... مثل الأزهير وسَطَ روضات  
في كل أفق من السماء له ... كمين جيش من الدجّات  
تردُّ عنه العيون خاسئة ... مرتبكات ذوات حيرات<sup>(٢)</sup>

يصف ليلة شديدة السواد، حالكة تحرسها عساكرها، وتحمل في الجو سود رايات، استعارة عن شدة ظلمتها، وليعكس مدى الأحزان التي أصابته، والتي يعاني منها، وهو يرى هذه العساكر المدججة بالسلاح، تمنع ظهور النهار وشروق ضوئه، فهي تكمن له في كل أرجاء السماء ونواحيها، ويطول هذا الليل بظلامه وسواده، وكلما ألقى ببصره يعود خاسئاً حائراً بعدما يرى ظلام هذا الليل لا ينقشع ولا يزول.

(١) الديوان: ص ١١٢.

(٢) الديوان: ص ٧٦.

## (٢) - النجوم والأفلاك:

تتعدد أسماء الكواكب والنجوم التي يراها الشاعر في سماءه، وتعدد صفاتها وهيئاتها في السماء، ولذلك نجد ابن طباطبا قد ذكر نجوم الثريا، وبنات نعش، وهي مجموعة من النجوم، وذكر العديد من أسمائها كالسهيل، والجوزاء، والهلال، وغيرها مما يدل على معرفته بالأفلاك والنجوم.

مثل قوله: (الطويل)

وَبِتُّ أُرَاعِي كَوَكَبًا بَعْدَ كَوَكَبٍ ... أَوَانَ أَقْوَالِ حَائِنٍ وَطُلُوعِ  
إِذَا سَرَنَ سَيْرًا وَاحِدًا خَلَّتْ بَعْضُهَا ... إِلَى بَعْضِهَا مَشْدُودَةٌ بِنَسُوعِ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ مَوْشَى الْجَوْ عِنْدَ اكْتِمَالِهَا ... جَلُودُ أَفْعَاحٍ أَوْ نَسِيحِ دُرُوعِ  
كَأَنَّ التَّنَامَ الْمُشْتَرَى فِي سَحَابِهِ ... وَدِيعةً سَرَّ فِي ضَمِيرِ مُذِيعِ<sup>(٢)</sup>

يصف النجوم والأفلاك، ويتأمل فيها ويسهر من أجلها، يراعيها ويتأمل طلوعها وغروبها ما بين طالع، وراحل، ونرى كيف يرى النجوم والكواكب وهي تسير جميعها في انتظام وانسجام، ومن ينظر إليها يراها وكأنها متصلة بحبال مزركشة مربوطة ببعضها، وشبه هذه الحبال بألوانها الزاهية بجلد الأفعاعي، وشبه ظهور المشتري خلف السحب، بالسر في ضمير شخص يذيع الأسرار.

## (٣) - الهلال:

ومما قاله ابن طباطبا العلوي في وصف الهلال: (مشطور الرجز)

مَا لِلْهَيْلَالِ نَاحِلًا فِي الْمَغْرِبِ؟  
كَالنُّونِ قَدْ حُطَّتْ بِمَاءِ مُذْهَبِ  
أَفَارِقَتَهُ الشَّمْسُ مِنْ تَعْتَبِ  
فِرَاحٍ نَضُونًا كَالْمَرِيضِ الْوَصْبِ  
كَأَنَّ مَا حَلَّ بِهِ مَا حَلَّ بِي  
مَنْ الضَّنَى عِنْدَ فُرَاقِ زَيْنَبِ<sup>(٣)</sup>

(١) النسوع: واحدها النَّسْعُ، والجمع: نُسَاع، ونُسُوعٌ، ونُسْعٌ، والأنساعُ: الحبال، ينظر: لسان العرب، مادة "نسع"

(٢) الديوان: ص ٨٦.

(٣) الديوان: ص ١٢٢.

نجد ابن طباطبا، وقد وصف الهلال عند الغروب، وقد رآه ضيعفًا ومريضًا ناحل الجسم، فظهر كحرف النون في تقوسه وضعفه، ولما كان لون القمر عند الغروب مائلًا للاصفرار؛ فقد كتب بماء الذهب، ثم يتساءل عما أصابه هل هو بسبب مفارقة الشمس له؟ فأصابه ما أصابه من المرض والتعب، ثم يربط بين حال القمر وحاله بما أصابه من فراق وفقد لمحبيبته زينب، فإن ما أصاب الهلال من النحول لمفارقة الشمس له، حل به من فراق محبوبته له، وهنا نجد مشاركة وجدانية بينه وبين الهلال.

وقوله كذلك: (الطويل)

تَأْمَلُ نُحُولِي وَالْهَلَالَ إِذَا بَدَأَ ... لِلْيَاتِهِ فِي أَفْقِهِ أَيُّنَا أُضْنِي  
عَلَى أَنَّهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... نُمُوًّا وَأَنِّي بِالضُّنَى دَائِمًا أَفْنِي<sup>(١)</sup>

يصف الهلال وهو يشبه ضعفه وحاله، بحال نفسه وضعفه، فهو يرى الهلال قد أصابه الضعف وتحول من حال لحال؛ بمرور الأيام عليه، كذلك هو قد أصابه النحول وظهر عليه الضعف؛ لبعده عن يحب، ولطول البعد عنه، ولكنه يرى أنه أشد ضعفًا، فالهلال يزداد في كل ليلة جزءًا، وفي كل يوم يزداد نموًا حتى يصير قمرًا، فيعاود الظهور، بخلافه فهو يزداد ضعفًا على ضعف، حتى يكاد يفنى ويختفي.

(٤)-السماء:

مثل قوله: (الطويل)

كَأَنَّ السَّمَاءَ اسْتَكْسَتَ اللَّيْلَ حُلَّةً ... مُنْمَنَةً حَيَكْتَ عَلَيْهَا بِمَقْدَارِ  
مِرْصَعَةٍ بِالذَّرِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... يُزْرُ عَلَيْهَا فِي الْهَوَاءِ بِأُزْرَارِ<sup>(٢)</sup>

ويصف ابن طباطبا السماء وكأنها إنسان، والليل رداء ترتديه، وقد صمم هذا الرداء وزخرف بزخرفة متقنة، وتم خياطته عليها بقياس محكم، وهذا الرداء مرصعٌ ومترز بالدر والنجوم في كل جوانبه وأجزائه، وجعل لهذا القميص والرداء أزرارًا تُزْرُ عليه، ومع الصورة الإستعارية، نجد الجنس المشتق بين يزْرُ، وأزْرار.

وقوله كذلك في السماء: (الخفيف)

وَمَطَايَا تَبِيَتْ بِاللَّيْلِ تَسْرِي ... تَحْتَ سَقْفِ مُرْصَعِ بِلَالِ

(١) الديوان: ص ٢٨٥.

(٢) الديوان: ص ٨٢.

فإذا أشرقَ النهارُ تراها ... زاملاتٍ في مثلِ ماءِ زلالٍ<sup>(١)</sup>

فيصف السماء بالسقف المزين بالنجوم اللامعة البراقة، والقمر يسير في أنحائها طوال الليل، ويصف هذه الأفلاك والكواكب وسيرها في السماء، فإذا مضى الليل وأشرق النهار؛ ترى هذه الكواكب التي كانت تسير في الليل تحت سقف السماء توقفت، وكأنها ناقة تستريح بعد عنائها ترتوى، وتشرب من بركة ماء عذب.

(٥)-السحاب:

مثل قوله:(الخفيف)

أَوْ مَا تَبْصُرُ السَّحَابَ كَخُودٍ ... أَقْبَلْتُ فِي مُمْسَكَاتِ الثِّيَابِ  
وَكأنَّ البُرُوقَ فِيهَا تَحَاكِي ... لِمَعَانِ السِّيُوفِ عِنْدَ الصَّرَابِ<sup>(٢)</sup>

يصف السحاب، ويجمع لها بين الرقة في هيئتها، والقوة عندما يجتمع معها البرق، ومن ينظر إلى السحاب في رفته يراها فتاة حسنة الخلق جميلة، تقترب في ثياب ممسكة أي مطيئة بالمسك، أو ممسكة تداولتها الأيدي كثيرا، وعلى الأول فالسحاب يتضوع بالماء كما تتضوع هذه الحسناء بالطيب، وعلى الثاني أن السحاب ظاهره أخلق لا يستطيع أن يمسك الماء، و يرى البرق عندما يجتمع بالسحاب في السماء، يماثل ويشبه ما ينتج من شرارة السيوف عند ضربها واحتكاكها ببعضها في ساحات المعارك والحروب، فوصف السحاب بالرقة، ولكنها عند تغير حالها أو مزاجها، فإنها تُخرج شررها فجمع لها بين الرقة والقوة.

(٦)-الغيم:

مثل قول ابن طباطبا:(البيسط)

قُلْ لِلَّذِي حَسُنَتْ مِنْهُ خَلْقُهُ ... بَاكِرِ صَبُوحِكَ وَأَسْبِقْ مِنْ تَسَابِقِهِ  
أَمَا تَرَى الْغَيْمَ مَجْمُوعًا وَمَفْتَرِقًا ... يَشِيرُ هَذَا إِلَى هَذَا يَعَانِقُهُ  
كَعَاشِقٍ زَارٍ مَعشُوقًا يودِّعُهُ ... قَبْلَ الْفِرَاقِ قَالِي لَأُفَارِقُهُ<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان: ص ١٩٢.

(٢) الديوان: ص ١١٩.

(٣) الديوان: ص ٢٨٣.

هذه الأبيات ينصح فيها صاحب الأخلاق الحسنة، بعدم الاكتفاء بالاتصاف بها، بل عليه أن يجعلها خلق حياة في تعامله مع الآخرين، ويطبّقها في سلوكياته وحياته وعاداته، بأن يستيقظ مبكراً، وأن يتسابق في الخير مع من يسابقه معه، وأن يحرص على التسابق والتسارع إلى الخير، وأن ينظر إلى الغيوم وهي مجموعة مع بعضها، وهي متفرقة عن بعضها، يشير بعضها إلى بعض ليتواصلا، ويتعانقا، ويجتمعا ليصيرا سحابة كبيرة، وكأنها عاشق مع معشوقه، ومحبّ مع محبوبه، وكأنه يرمز للأخلاق عندما تطبق قولاً وعملاً، بالسحاب الذي يحمل الخير، ثم يصف وقتاً وقد ذهب العاشق فيه إلى معشوقه زائراً؛ ليودعه قبل أن يفترقا وينصرف كل منهما إلى طريقه، لم يستطع أن يفارقه ويودعه، فحلف وأقسم ألا يفارقه أو يتركه؛ وكأن الشاعر يشكو من فراق حبيبه له، وعدم استجابة محبوبه للبقاء معه، أو إحساسه بالندم على قبول فراقه، وعدم الإصرار على البقاء معه، وكأنه يتحسر بصورة السحاب مع بعضه، وحاله مع حبيبه الذي يفارقه.

(٧)-الشمس:

قدم الشعراء لوحات فنية يصفون فيها الشمس، وينظرون إليها من جهات مختلفة ومتنوعة، إشراقاً وغروباً، وضوحاً وخفاءً، بدايةً ونهايةً، ضعفاً وقوةً، فتعددت الصور الوصفية، ومن هؤلاء ابن طباطبا، مثل قوله: (المنسرح)

وَأَقْدَيْتِ عَيْنُ شَمْسٍ فَحَكَتِ ... مِنْ خَلَلِ الْغَيْمِ طَرْفَ عَمَّاشٍ<sup>(١)</sup>

يصف الشمس عند الغروب، وقد أصابها الوهن وضعف نورها، وخفت ضوءها، كأنها عين امرأة أصابها العمش، وهو ضعف الإبصار مع سيلان الدموع منها في معظم الأوقات.

وقوله: (الطويل)

وَشَمْسٌ تَجَلَّتْ فِي رِداءٍ مُعْصَفِرٍ ... كَأَسْمَاءَ إِذْ مَدَّتْ عَلَيْهَا إِزارَهَا<sup>(٢)</sup>

فوصف الشمس وقد أشرقت بنورها، بأسماء حبيبته، وقد ظهرت بجمالها الذي ينير حياته كما أنارت الشمس الدنيا، فالشمس بنورها وإشراقها على الدنيا، تشبه حبيبته في إزارها وردائها المعصفر الذي ترتديه ذي اللون الأصفر، وهو لون الشمس عند المغيب، فجعل حبيبته وقدمها عليه كالشمس بقدمها على الدنيا وإشراق الكون بها.

(١) الديوان: ص ٢٣١.

(٢) الديوان: ص ٢٤٥.

وقوله: (الوافر)

كأنَّ الشمسَ مرآةً تراءى ... لنا ولها شعاعٌ ذو خُمود  
متى أبصرتَ شمساً تحتَ غيمٍ ... ترى المرآةَ في كفِ الحسودِ  
يُقابِلها فيلبسها غِشاءً ... بأنفاسٍ تزيأدُ في الصُعودِ<sup>(١)</sup>

يصف الشمس إذا كانت منكسرة وخافته؛ بسبب الغيوم، فلا يبدو لنا منها سوى شعاع منطفيء، وهذه الشمس وقد سترتها الغيوم كالمرآة في يد رجل حاسد شديد الحسد يباليغ في إخفائها، والمرآة هي الشمس، والغمام هو الحسود، فالغمامة تخفي الشمس، وجعل الغمام رجل حسود يحمل مرآة، والمرآة هي الشمس فيخفيها الغمام، وهو الحاسد، وللمبالغة في إخفاءه الشمس، جعل أنفاس هذا الحاسد المتصاعدة كالغمام الذي يغطي سطح المرآة بغشاء يخفي سطحها الناعم الرائع.

**المبحث الثاني: وصف النباتات والزهور.**

نشأ الأدب العربي في الصحراء في بيئة جافة فقيرة بالمياه؛ ولذلك نجد أن وصف الورود والبساتين والرياح كان نادرًا في العصر الجاهلي، ولما جاء الإسلام انتشرت الفتوحات الإسلامية، وانتقل العرب إلى ديار جديدة ذات أرض خصبة، وغنية بموارد المياه، حافلة بالأزهار والورود، فانعكس ذلك كله على الشعر العربي. وقد انتشرت الرياض والبساتين في العصر العباسي، فهناك الرياض الملحقة بالقصور والمنازل، وهناك الرياض العامة<sup>(٢)</sup>.

تنوع وصف النباتات والأزهار في الشعر العربي، وعند الشاعر العباسي خاصة؛ لما كان للبيئة الخلابة والطبيعة الجميلة في العصر العباسي أثرٌ في إلهام الشعراء بالتغني، ووصف هذه النباتات والأزهار، وإن كان وصف الأزهار امتدادًا للعصر الجاهلي والأموي، فلقد كان في العصر العباسي أكثر وجودًا، فوصف الشعراء النبات والأزهار.

وقد تأثر الشعراء العباسيون بالفُرس في اهتمامهم بالأزهار، ولا شك أن الاهتمام بالأزهار والولع بها في العصر العباسي، لم يكن خاصًا بالشعراء وحدهم، بل كان ولعًا شعبيًا منتشرًا بين كل الطبقات؛ لأن الاهتمام بالأزهار، والولع بها يعد أثرًا من آثار الرقي والحضارة " فالإنسان المتحضر مولع بالأزهار، يستمتع بها في مظان وجودها في البراري، أو في الحقول، أو

(١) الديوان: ص ١٤٥.

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى: د/ أحمد عبد الرازق أحمد، دار الفكر العربي ١٩٩٠م، ص ١٠٦.

في البساتين، يستنبتها في أحواض، وفي حدائق الدور أو القصور، ويحلي بها الغرف والأبهاء، منسقة في أصص، ويخلق نماذج مصنوعة تحاكيها أشكالاً وألواناً، تفاوتها حياة وأرجاً<sup>(١)</sup>.

ومن هذه الأزهار والثمار والنباتات التي ذكرها ابن طباطبا في شعره:

(١) - نبات الأترج<sup>(٢)</sup>:

مثل قوله: (مخلع البسيط)

أَتْرُجَةٌ قَدْ أَتَتْكَ بَرًّا ... لَا تَقْبَلْنَهَا وَإِنْ سُرَّرْتَا  
إِنَّ اسْمَهَا - وَإِنْ يَكُنْ سَلِيمًا - ... فَإِنَّ مَنكُوسَهَا هُجْرَتَا<sup>(٣)</sup>

يصف ابن طباطبا نبات الأترج، وكأنه شخص أو شيء محبوب، ولكنه يحذر من قبوله ولو رأيت فيه سرورًا لك، ولو أحببته معللاً ذلك بأن اسمها وإن كان جيدًا وهو أترجة، فإنك لو عكست حروفها صارت هجرتا، وهو الهجر والفراق الذي يسبب الحزن والألم، وإن رأيت في ظاهرها السرور، فهو تعليل بديع، ربما انفرد به ابن طباطبا.

(٢) - زهرة الأذريون:

مثل قوله: (الخفيف)

وَإِذَا الشَّمْسُ لَاحِظَتْ سَرَحَ آذْرِيونِهَا ... أَشْتَعَلَتْ لَنَا مِنْهُ نَارًا  
فَهُوَ فِي الأَرْضِ كَالْمَصَابِيحِ تَبْغِي ... مِنْ سَنَا الشَّمْسِ لِلْمَصَابِيحِ نَارًا<sup>(٤)</sup>

يصف زهرة الأذريون، وهو زهر أصفر اللون يشبه لون الشمس الأصفر، فهو عند مرور نور الشمس وسطوعه عليها تجد لون الشمس على الأذريون قد زاده صفرةً، حتى أن الرائي يتوهم أنها نارٌ مشتعلة، وأن نبات الأذريون بلونه الأصفر كالمصابيح في الأرض، تطلب من

(١) الصنوبري شاعر الطبيعة: د/ عبد الرحمن عطية، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١ م، ص ٨٨.

(٢) الأترجة، نبات ريحه طيب وطعمه طيب، كما وصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما وصف المؤمن الذي يقرأ القرآن، فقال: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ"، ينظر: صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القسيري النيسابوري (ت ٥٢٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١/ ص ٥٤٩.

(٣) الديوان: ص ١٢٤.

(٤) الديوان: ص ١٥٢.

الشمس ثأراً لكل المصابيح، وكأن الشمس جانٍ يطلب الثأر من هذه الزهرة؛ لأنها تتازعه، وفيه تأثير الشمس على هذه الزهرة.

### (٣) - زهرة النرجس :

مثل قوله: (الكامل)

يا مَنْ يَحْاصِرُ وَجَدَهُ فِي نَفْسِهِ ... وَيَحْاذِرُ الرِّقِيَاءَ أَنْ يَتَنَفَّسَا  
زَفْرَاتِ هَمِّكَ قَدْ أَصَابَتْ فُرْصَةً ... فَخَرَجْنَا لِمَا أَنْ شَمَمْنَا النَّرْجِسَا<sup>(١)</sup>

فيرى زهرة النرجس، وريحها تساعد الإنسان الذي يجد صعوبة في التنفس؛ لما يعانيه من شجن وحزن، وأن التنفس من عطر هذه الزهرة فرصة ليُخْرِجَ هَمَّهُ كما يخرج زفيره، وأن في قلب الإنسان حالة لا يزيلها ويمحوها إلا شم النرجس لينفس من عطر هذا النرجس.

### (٤) - ثمرة السفرجل:

ثمر شجرته معروفة يشبه التفاح -يصنع منه المربي- (يذهب بطحاء القلب) أي يزيل النقل والغثيان والغم الذي على القلب. قال الأطباء: وهو يقوي المعدة، ويمنعها من قبول الفضلات، ويعيد الشهوة المفقودة، ويقوي القلب والدماغ، ويطفئ غلبة الدم في الوجه، ويمنع الغثيان، ويسكن وهج المعدة، ويطيب النكهة، لكنه يضر العصب<sup>(٢)</sup>.

مثل قوله: (المتقارب)

سَفَرَجَلَةٌ حَذَفُوا رَاعِيَهَا ... تَحِمُّ الْفَوَادَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ<sup>(٣)</sup>

فيقول ابن طباطبا في وصفها: إنها تزيل الهموم من القلب، ويستشهد بقول النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه «أنها تحمُّ الفؤاد»، أي: تريحه، وتكمل نشاطه - هذا وإن كان الحديث ضعيفاً- فعن ابن عباس قال: «جاء جابر بن عبد الله إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يسفرجلة قدم بها من الطائف، فناوله إياها، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إنه يذهب بطحاوة الصدر ويجلو الفؤاد»<sup>(٤)</sup>.

(١) الديوان: ص ١٧١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين، ت ١٠٣١هـ، الناشر: المكتبة التجارية- مصر، الطبعة: الأولى، الجزء (٢)، ص ٩٦.

(٣) الديوان: ص ٢٥٨.

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ، تحرير: العراقي وابن حجر، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٣، (٥/ ٤٥).



### المبحث الثالث: الطبيعة الحية (الحيوان).

لم يكن حضور الخيول في الشعر العربي مرتبطاً بالشعر القديم فقط، بل نرى له حضوراً، ورمزاً عربياً أصيلاً ممتداً يدل على الشجاعة، والفروسية والإقدام، وإذا كان غالب الشعر في الوصف، فإن لوصف الحيوان في الشعر، ولا سيما الخيل؛ مكانة منذ العصر الجاهلي، حيث به تكون الفروسية، وتفاخر الفارس بفرسه، كما كان الاهتمام بالخيول سمة العرب عامة، فهي وسيلة انتقالهم وترحالهم وتفاخرهم، وتقوم عليها غالب حياتهم، حتى في العصر العباسي كانوا يركبونها في حروبهم ويتهادون بها، ونجد اهتمام الشعراء بالحيوان والخيول، ومنهم ابن طباطبا حيث يصف: الخيل، والفهد، والفيل، والهرة، وطائر القبج.

#### (١)- وصف الخيل:

هي من الحيوانات المشرفة التي ذكرها الله في القرآن الكريم، وأوصى بها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - فقال: "الخيولُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ؛ الأجرُ والمغنمُ"<sup>(١)</sup>، وهي رمز القوة والجمال، والعزة لدى الإنسان العربي، وكذلك تعد الخيل وسيلة النقل الثانية بعد الإبل في البادية، فقد اهتموا بها، واعتنوا بتربيتها، وقد كان للعرب في الخيل فوائد في المعارك والطرائد، وقال الجاحظ: "لم تكن أمة قط أشدَّ عجباً بالخيول، ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان، ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا فرس عربي، ولم يقولوا هندي، ولا رومي، ولا فارسي"<sup>(٢)</sup>.

مثل قوله: (الكامل)

يَغْشَى الْهَيْبَاجَ عَلَى حِصَانٍ لَا تَرَى ... فِي الرَّوْعِ حِصْنًا مِنْهُ حَفَرَ الْخَنْدَقِ  
إِنْ قِيلَ ثَبَّ فَكَأَنَّ بَيْنَ عَنَانِهِ ... سَهْمًا تَقُولُ لَهُ يَدُ الرَّامِي أَمْرُقِ  
وَكَأَنَّ أَدْهَمَهُ الْأَعْرَى إِذَا بَدَا ... لَيْلٌ يُفَاجِنُنَا بِفَجْرِ مُشْرِقِ  
يَخْتَالُ فِي الرَّهَجِ الْمُتَّارِ لَدَى الْوَعَى ... فَتَرَاهُ مِثْلَ الْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ  
وَصَهْبِيهِ رَعْدٌ وَغُرَّةٌ وَجْهَهُ ... بَرَقٌ تَلَالُأُ جَنَحٌ لَيْلٌ مُغْسِقِ

(١) مختصر صحيح الإمام البخاري\_أبو عبد الله بن اسماعيل البخاري: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين،

الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، الجزء الثاني، ص ٢٨٠.

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، حسين محمد الراغب الأصفهاني، دار الحياة، ١٩٦١م، المجلد

الرابع، ص ٦٣٥.

يَسْبِي عَيْونَ النَّاظِرِينَ بِضَوْءِ تَحَا ... جِيلِ الثَّلَاثِ وَحُسْنِ رُسْنِ مُطَلِّقِ<sup>(١)</sup>

يصف ابن طباطبا الخيل، وإقباله على القتال والثبات عند المعارك، حتى إنه يروع الأعداء، ولا مفرّ لهم ولا سبيل للنجاة، ولو تحصنوا بالخنادق، فإن ذلك لن يدفع ما هو محتوم عليهم، وهو بين يدي فارسه كالسهم الذي إذا أطلق ورماه انطلق؛ فلا يخشى المعارك، وسريع كالسهم في يد فارسه، ووصف مقدمة رأسه وشدة سوادها كالليل حالك الظلام شديد السواد، والغرة البيضاء في جبهته كضوء الفجر المشرق إذا بدأ، يمشى باختيال وزهو كالسيف اللامع البراق وسط غبار الحرب؛ الذي سببه أقدام الخيل التي تضرب الأرض من شدة احتدام المعركة، ويرى صوته وصهيله كالرعد في قلوب الأعداء، وبياض مقدمة وجهه كالبرق المتلألاً في سماء الليل المظلم، فكما يأسر البرق عيون الناظرين والرعد أسماعهم، يأسر هذا الفرس عيون الناظرين؛ ببياض قوائمه، وحسن خطاه.

ومما قاله ابن طباطبا العلوي في وصف الفرس: (المنسرح)

أَغْرُ تَغْدُو الغَدَاةَ مِنْهُ عَلَي ... أَعْرَ قَد زَادَ حُسْنَهُ تَرْقِيَةً  
أَدْهَمَ تَعَشِي العَيْونَ غُرَّتْهُ ... تَحْسَبُ لَيْلًا وَوَجْهَهُ شَفْقَةٌ<sup>(٢)</sup>

يمدح فارسه فيراه أغرّ يركب على فرسه الأغر الذي في جبهته بياض كثير وقت طلوع الشمس، فيرى بياض فارسه مع بياض جبهة الفرس في صورة جميلة، وقد زادها حسنا تقدم ووثوب الفرس بخفة، وهذا الفرس الأدهم شديد السواد تقبل العيون على النظر إلي غرته شدة السواد، واللون الأبيض في وسطها تجذب انتباه العيون، ووصف حسن منظره؛ حيث جعل جبهته السوداء واللون الأبيض وسطها أنها الليل والنهار معاً، وذلك يكون وقت غروب الشمس واختلاط ضوء النهار بسواد الليل.

(٢)- وصف الفهد:

الفهد حيوان معروف بسرعته ولياقته، ولهذا شغف الخلفاء العباسيون بالصيد بالفهد، وكان شكلاً من أشكال الرياضة عندهم، بل كان يضرب به المثل في النوم فلا تشبع عينه من النوم، قال أحد الشعراء يصف نومه<sup>(١)</sup>.

(١) الديوان: ص ٩٠.

(٢) الديوان: ص ٨٨.

## فَأَمَّا نَوْمُهُ فِي كُلِّ حِينٍ ... فَعَيْنُ الْفَهْدِ لَا تَقْضِي كَرَاهَا

والصيد من الوسائل التي اتخذها العباسيون وسيلة للتسلية، واللهو، والترويح "فهو خروج من رتابة العيش إلى الفلاة الواسعة، حيث الحرية البريئة النقية، فيتخلص الإنسان ولو لساعات من مسكنه الضيق المحدود، ومجتمعه المقيد بالعادات والتقاليد، ليجتمع في مصادقة حلوة صافية مع الطبيعة الصادقة الحنونة التي لا تعرف الغش ولا الخداع، ولا تراوغ من أجل مصلحة شخصية أو هدف سياسي، عندما يفتح الصياد مغاليق نفسه عليها ويبث لواعج صدره إليها، ويتبادلان الحب كأحسن عاشق معشوق" (٢).

ولقد شغف الخلفاء بالصيد كالهادي والمتوكل، إذ كان يولع بالفهود والصيد بها، كما كان يولع بالشباك، وكان المعتضد من أشد الخلفاء شغفا به "وكان المعتصم في أكثر أموره ومآربه أشبه به من سائر بيته وبنيه من الخلفاء، في محبته لمباشرة الحرب والصيد وما أشبههما، ولم يكن ينفك من حرب إلا إلى صيد، ولا من صيد إلا إلى حرب، وكان يخرج لصيد الأسد، فيخيم عليها حتى لا يبقى منها باقية" (٣).

وقد غالى العباسيون في تربية الجوارح من الطير والكلاب والفهود، وأقاموا عليها أناساً ينظرون في شئونها كالحجالين، والفهادين، وأصحاب الصقور، والكلاب، وأطلقوا لهم الأرزاق الجلييلة والأموال العظيمة (٤).

قال ابن طباطبا في الفهد: (المنسرح)

لَهْوَتْ فِيهِ بِصَوْتِ رَاكِبَةٍ ... نَازِلَةٌ وَقَفَتْ كُلَّ إِيْمَاءٍ  
تُرْكِيَّةَ الْوَجْهِ حِينَ تَنْعَتَهَا ... رُومِيَّةَ الْمُقَاتِلِينَ كَحَلَاءِ  
أَبْرَزَهَا الْحُسْنَ فِي مُشَهْرَةٍ ... قَدْ فُوقَتْ مِثْلَ بُرْدِ صَنْعَاءِ

(١) البيزرة، بازيار العزيز بالله نزار الفاطمي، يظن أنه أبو عبد الله الحسن بن الحسين (ت ق ٤هـ)

علق عليه: محمد كرد علي، الناشر: مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ص ١٢٠.

(٢) حضارة العرب في العصر العباسي: د/ حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٩٢.

(٣) المصايد والمطارد: كشاجم (محمود بن الحسين بن السندي بن شاهل أبو الفتح كشاجم ٣٦٠ هـ)، تحقيق أسعد أطلس، دار المعرفة، بغداد ١٩٥٤م، ص ٥٦.

(٤) المدخل إلى تاريخ الحضارة: د. جورج حداد، نشر مكتبة السائح، طرابلس ١٩٨٥م، ص ٤٠٣.

كَأَنَّما شَبَّكَ الإِلهُ بِهَـا ... ظُلْمَةً لَيْلٍ بِشَمْسٍ إِمْساءٍ<sup>(١)</sup>

فجعله الشاعر صيادًا، ويحتال بالصوت الحسن ليجذب فريسته إليه، ويستدرجها بما يتميز به من أصوات يصدرها، وتغزل بأنتى الفهد وكأنها من البشر فهي ذات وجهٍ تركي الوصف، وعيونها واسعة مكحولة وهي رومية، يظهر حسنها وجمالها في جلدها الذي يشبه الثياب اليمينية القادمة من صنعاء، وهذه البقع السوداء المتشابكة مع لون جلدها الأصفر كلون الظلمة حين اقتراب غروب الشمس.

وقال يصف طلبها لفريستها: (المنسرح)

طالِبَةً صَيدَها عَلى حَنقٍ ... بجدِّ شَدِّ لها وتَعَداءِ  
شَفيقَةً بَعَدَ ذاكَ تَحَفُّظَةً ... من غيرِ كَلِمٍ لِهـ وإيذاءِ  
كَأَنَّما الظَّبْيُ وَهُوَ في يَدِها ... أَعقَبَ من سُخْطِها بِإِرضاءِ  
أَبْنا بِهَـا والظَّبِباءُ مُوقِرَةٌ ... تَفوتُ عَدَى لها وإِحْصائِي<sup>(٢)</sup>

فيصف سرعتها وغضبها على فريستها، وكأن بينها وبينه تارة، ثم عند الإمساك بطريدته وفريسته يحافظ عليها فلا يأكلها، ولا يؤذيها ويتركها لصاحبه، وهذا علامة على تدريبها وإطاعتها، وعدم استسلامها لغضبها، بل يتحول غضبها على فريستها لرضا، وهو بين يديها من أجل سيدها، ويذكر عدد الطرائد التي تصيدها الفهد من الظباء أنها تفوت عددا وإحصائها؛ لكثرة صيدها.

(٣)- وصف الهرة:

مما قاله ابن طباطبا العلوي في وصف الهرة: (الخفيف)

أرَقَّتْ مُقَلَّتِي لِحُبِّ عَرُوسٍ ... طَفَلَةٌ في المِلاحِ غيرِ شَموسِ  
فَتَنَّتِي بِظُلْمَةٍ وَضِياءِ ... إِذِ بَدَّتْ لي كالعَجاجِ في الأَبْئوسِ  
تَتَلَقِّي الظِّلامَ مِنَّ مُقَلَّتِيهاً ... بِشِعالِ يَحْكِي شِعالِ الشَّموسِ  
ذاتُ دَلِّ قِصِيرِ كَلِمًا قِيا ... مَتَّ تَهادَّتْ، طَويلَةٌ في الجِوسِ  
لَم تَزَلْ تَسبِغُ الوُضوءَ وتَتَقِي ... كلَّ عَضوِّ لها من التَّجِيسِ<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان: ص ٦١.

(٢) الديوان: ص ٦٢.

(٣) الديوان: ص ١٧٤.

يصف هرتة وكيف جافت عينه النوم، وربما هو يرمز إلى حبيبته التي أسهرته، ويشبه براءتها ببراءة الطفولة، ويصف طاعتها وأنها مستجيبة لما يطلب منها، ويصف لونها الأبيض والأسود كالظلام والليل المجتمعان معاً، ثم يصف هذا الأبيض بالعاج في الأبنوس فهي سوداء منقطة باللون الأبيض، وهي نور في دنياه فالقطة تعكس بعينها الضوء في الظلام، وكأنها ترسله كشعاع يضاها شعاع الشمس الذي يبدد ظلام الليل، وكما وصف لونها وعيونها، يصف ذيلها القصير ومشيتها وطول جلوسها ونظافتها، وكأنها مسلم يداوم على طهارته ووضوئه.

#### (٤)- طائر القبيح:

مثل قوله: (الكامل)

وَمُسَجِّنَ يَهْوَى الْقِتَالَ مُنَّعٍ ... عَنِ قَرْنِهِ ذِي صَرَخَةٍ وَدُعَاءِ  
بَادِي التَّمَلُّمِ خَلْفَ حَائِطِ سَجْنِهِ ... حُبُّ الْبِرَازِ مَجِيبٌ كُلِّ نِدَاءِ  
فِي مَجْلِسِ ضَنْكَ يَوَدُّ لَوْ أَنَّهُ ... لَأَقَى مِبَارِزَةَ بَجْنِبِ فِضَاءِ<sup>(١)</sup>

فيصف طائر القبيح بالقوة والصلابة، وأنه يهوى القتال عزيز في نفسه كالأسد القوى، يصرخ للحرية ويدعوا بها، ويظهر عليه الضجر خلف حائط سجنه؛ لأنه يهوى المبارزة والقتال، ويستجيب لكل منازلة ومعاركة يُنادى بها، ويُدعى إليها، ويرجو لو تبارز مع مقاتله، وكان في فضاء رحب واسع؛ حيث موطنه بعيداً عن مكانه الضيق الذي وضع وسُجن فيه.

#### نتائج البحث:

يمكن رصد أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- ١- وصف الشاعر الطبيعة العُلويَّة، المتمثلة في وصف الليل، والنجوم والأفلاك، والسماء، والشمس، والغيم، والسحاب.
- ٢- شكل الليل جزءاً مهماً من شعر الطبيعة، واستطاع أن يبديع في وصفه، وتتنوع أوصافه، تارة بالطول وتارة بالقصر، وجعله مُصاحباً له في سهره، ومُشاركاً معه أحزانه وأفراحه.
- ٣- تعددت موضوعات وصف النباتات والزهور، فوصف الأترجة وهو نبات ريحه وطعمه طيب، ووصف زهرة الأذريون، والنرجس، وثمره السفرجل.
- ٤- حظى وصف الحيوان بدور في وصف ابن طباطبا العُلوي للطبيعة، فوصف الخيل، والفهد، والفيل، والهرة، وطائر القبيح.

(١) الديوان: ص ١١٥.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: مصدر الدراسة

شعر ابن طَباطبَا العَلَوِي الأَصْبَهَانِي أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٣٢٢هـ): جمعه وحققه وقدم له د. شريف علاونة، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان\_الأردن، جامعة البترا، ٢٠٠٢م.

### ثانياً: المراجع

- ١- الأدب الأموي: أحمد إبراهيم المسودي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وآدابها، بدون تاريخ.
- ٢- البزيرة: بازيار العزيز بالله نزار الفاطمي، يظن أنه أبو عبد الله الحسن بن الحسين (ت ق ٤هـ) علق عليه: محمد كرد علي، الناشر: مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.
- ٣- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى: د/ أحمد عبد الرازق أحمد، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م.
- ٤- حضارة العرب في العصر العباسي: د/ حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ٥- الخيل: أبي عبيدة، طبعة حيدر آباد، بدون تاريخ.
- ٦- زهير بن أبي سلمى: د/ علي إبراهيم أبو زيد، مؤسسة عز الدين، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- ٧- الصحاح: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت ٣٩٨هـ، تحقيق: د. محمد محمد تامر، وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- ٨- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٩- الصنوبري شاعر الطبيعة، د/ عبد الرحمن عطية، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م.
- ١٠- الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول: د. أنور عليان أبو سليمان، الرياض، دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- ١١- العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٦٦م.
- ١٢- عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبَا العلوي، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

- ١٣- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي: إيليا الحاوي ، دار الكتاب المصري، مصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٠م.
- ١٤- الفهرست: محمد ابن اسحق ابن النديم، ت ٣٨٠هـ، حققه: رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م.
- ١٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين، ت ١٠٣هـ، الناشر: المكتبة التجارية، مصر، الجزء الثاني، الطبعة الأولى.
- ١٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور، إعداد: عبد الله علي كبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة.
- ١٧- الليل في الشعر الجاهلي: د.محمد زروق الحسن على، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية السودان، المجلد: ٢٤، العدد: ٩٣، ابريل، ٢٠١٣م.
- ١٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ، تحرير، العراقي وابن حجر، مكتبة القدس، الجزء الخامس، القاهرة، ١٣٥٣.
- ١٩- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، حسين محمد الراغب الأصفهاني، دار الحياة، المجلد الرابع، ١٩٦١م.
- ٢٠- مختصر صحيح الإمام البخاري-أبو عبد الله بن اسماعيل البخاري: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- ٢١- المدخل إلى تاريخ الحضارة: د. جورج حداد، نشر مكتبة السائح، طرابلس، ١٩٨٥م.
- ٢٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، الجزء الأول.
- ٢٣- المصايد والمطارد: كشاجم (محمود بن الحسين بن السندي بن شاهل أبو الفتح كشاجم ٣٦٠هـ)، تحقيق أسعد أطلس، دار المعرفة، بغداد ١٩٥٤م.
- ٢٤- معجم الأدباء، ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.